رسالة سمى الآن وهذه الرسالة الفاخرة اشتهرت بين الناس اشتهار الشمس في الهاجرة وبينا في
اخرها ما يجب من الوصايا اورده بصيغة الجمع اشعارا بكثرة انواعها وان كان اللام تردا الجنس لا ايضا
كما في جامع الرموز او يستحب عطف على ما يجب وما هو المسنون عطف على ما او المستحب عطف
على المسنون في حال الاحتضار متعلق بالمسنون وبما بعده على سبيل التنازع وما بعده عطف على حال
وما ينفع الموتى معطوف على ما هو المسنون من الصدقة وقراءة القرآن والدعاء بيان لما يجب وما
عطف عليه ثبت بخبر او اثر قال علي القاري في شرح اصول الحديث واعلم ان الفقهاء يستعملون
الاثر في كلام السلف والخبر في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الخبر والحديث عن النبي عليه السلام
والاثر اعم منها وهو الاظهر انتهى لكن الظاهر من كلام المص هاهنا هو الاول ولقد رأينا الرؤية هي
بصرية في هذا الزمن اي في بيان الوصايا رسائل كرسالة منلا خسرو ونحوها كذا النقل عنه فيها امور
كثيرة لم نجد لها اصلا ولا سندا في كتب معتبرة بل وجدنا بعضها اي بعض هذه الامور الكثيرة مخالفا
لما عليه الائمة المجتهدين رحمهم الله فاعرضنا عنها واقتصرنا على ما له سند صحيح يوافق اقوال الفقهاء
ثم لما رأيت الرؤية علمية اكثر الناس هذا شروع في بيان سبب تاليف الرسالة التي
نحن في صدد شرحها قلوبهم قاسية قال القاضي القساوة عبارة عن الغلظة مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه من الاعتبار انتهى فعلى هذا قوله قلوبهم قاسية استعارة
تمثيلية شبهت قلوبهم ونبوها من الاعتبار والاتعاظ وعدم التأثير من الآيات والدلائل
الموجبة لقبول الحق بحال الحجارة اي القسوة والصلابة والامتناع من التأثير من مؤثر خارجي فهي
كالحجارة في القساوة او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد عليها
او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة وتفريع التشبيه على بيان وجه الشبه
كما في قولك احمر صدره فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم
يقل اقسى لما في اشد من المبالغة في الدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة كذا
في التفاسير ولا يخفى ان ما ذكر في تفسير الآية التي في سورة البقرة من ان او للتخيير او للترديد بمعنى
ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اشد منها او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة

٧

من الحجارة على ما ذكر في تفسير القاضي وابو السعود وفي لما توهم من ان يقال ان كلمة او للشك غالبا وان الشك
لا يتصور ممن هو علام الغيوب الذي احاط بكل شيء علما فما وجه استعمال كلمة او هاهنا ووجه الدفع ان الشك
ليس معنى اصليا لكلمة او فانها لاحد الشيئين ولا يلزم ان يكون استعمالها لاحد الامرين ابهام الامر على المخاطب
وتشكيكهم فيه مع انتفاء الشك من المتكلم في تعيين احدهما وقد يجوز المخاطب التخيير
المخاطب فيها ببيان انه مخير في اتيان كل واحد من الامرين وليس له ان يأتي بهما
جميعا في التخيير وقد يجوز المخاطب اباحة كل واحد منهما فله ان يأتي بكل واحد منهما منفردا عن
الاخر وان يأتي بهما جميعا كقولك جالس الحسن او ابن سيرين وغير ذلك من الاحتمالات واما في
المعنى الاقتباس المص هاهنا فلا حاجة الى حمل او على التخيير او الترديد وهو ظاهر وذكر الكوفيون ان كلمة
او معنيين اخريين احدهما كونها بمعنى الواو وثانيهما بمعنى بل واختاره الامام الواحدي في الوسيط
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الظاهر انه عطف على قوله قلوبهم قاسية فيجوز اضرابا عن
قساوة التي هي فساد القلب الذي هو ملاك امر البدن كله اذا صلح صلح كله واذا فسد فسد
كله الى ما هو اشد منها من رسوخ ملكتها فيه وكلمة ما يجوز ان يكون مصدرية وان يكون موصولة وراجعها
محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اي غلب على قلوبهم كسبهم او الذي كانوا يكسبون
قال القاضي في تفسير الاية التي في سورة التطفيف بان غلب عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة
الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد اذا اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه والرين الصداء انتهى وفي حاشية عصام الدين ران على قلوبهم انه
ركب على قلوبهم واستولى ورسخ في قلوبهم او ذهب بقلوبهم عن طريق الحق فعلى الاخير
على في موضع السناد او في ولا ضير في وقوع بعض الحروف موضع بعض والصداء كالوسخ
وزنا ومعنى انتهى وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت
في قلبه نكتة فاذا نزع واستغفر صقل قلبه وهو الران الذي قال الله تعالى بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح كذا نقل عنه ثم ان رواية الحديث المذكور
في بعض التفاسير مخالف لما نقل عن المص وما ذكر في تفسير القاضي وابي السعود قال الكواشي
قال صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء فان تاب واستغفر صقل قلبه

Copyright © King Saud University